

2

قصص المبشرون بالجنة

الحاكم
العادل

سلوى العناني

الحاكم العادل

(عمر بن الخطاب)

مرَّ أميرُ المؤمنين يوماً بمجموعةٍ من الصبيان يتصايحون
وهم يجمعون ثمارَ البلحِ المتساقطةً من عراجينها على
الأرضِ .. وما إنْ رأوه حتى جروا جميعاً إلا واحداً استمر في
جمع ما تركه رفاقه وهربوا ..

ويقترِبُ أميرُ المؤمنين من الفتى مبتسماً فيأدره الفتى
قائلاً :

- هذا يا أميرَ المؤمنين بلحٌ مما ألقتَه الريحُ .. ويطلبُ منه
أميرُ المؤمنين أن يرى البلحَ بنفسه ليتأكد من صدقِ قوله ..
ويفحصه ، ثم يقول للفتى : صدقت .

ويرحُ الفتى بقولِ أميرِ المؤمنين ، ثم يقول له :

- "هل ترى هؤلاء الغلمانَ الواقفينَ هناك ؟

إنهم ينتظرونُ انصرافَكَ ليهجموا علىَّ فيأخذوا ما

جمعتُ من البلحِ .. ويضحكُ أميرُ المؤمنين ، وهو يربت

على كتف الفتى ، ويأخذ بيده حتى باب بيته ، ثم يتركه
ويتصرف ..

هذا هو أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب بن نفيل بن
عبد العزى) ...

نعم (عمر بن الخطاب) الذى اتسعت دولة الإسلام فى
عَهده حتى حدود الهند .. والذى امتلأت خزائن بيت المال
فى أثناء حكمه .. والذى ارتفعت راية الإسلام عالية فى
عصره ، وتضاعف عدد المسلمين .. لكنه كان رجلاً بسيطاً
يؤمن بأن حب الناس له ورضاءهم عنه هو أعظم ما يظفر
به فى الحياة ..

لم يكن (عمر بن الخطاب) من السابقين إلى الإسلام ..
بل إنه أمضى ست سنوات من عمره ومنذ بدء الدعوة
الإسلامية يتزعّم جبهة محاربة (محمد) وصحبه ..

خرج يوماً من بيته شاهراً سيفه عازماً على المضى إلى
(دار الأرقم) حيث النبي وصحابته .. لكن الله أرسل إليه
من يوقفه فى طريقه ليسأله عن وجهته .. وما إن علم
بعزمه على قتل النبي حتى بادره قائلاً :

- لبس السعى سعيك ، وبس المشى ممشاك ..

ثم أخبره أن دينَ (محمد) قد دخل دار شقيقته فاطمة التي
اعتنقت الإسلام هي وزوجها سعيدُ بنُ زيد .. ومعهم
خادمهم خبابُ بنُ الأرت ...

ويتضاعف اشتعال النار في قلبِ (ابن الخطاب) ويغير
طريقه .. فبدلاً من (دار الأرقم) اتجه إلى دار (سعيد بن
زيد) ..

عرفت (فاطمة) وزوجها شخصية الطارق .. فليس هناك
من يلق الباب بهذا العنف إلا (عمر) .. فسارعا بإخفاء
(الصحيفة) التي كان يقرءان ما بها من قرآن ..
ويواجه عمر شقيقته وزوجها بما سمع ...

فبماذا يجيب الرجل المسلم (سعيد بن زيد) ؟ ..

قال : "أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك؟"

وتهبُّ رياحُ الثورة العارمة ، وينهال (عمر) ضرباً على
الرجل المسلم وزوجته ...

هنا تألقت روحُ الإسلام في نفس (فاطمة) ووقفت

تواجه أخواها رغم ما تعرفه عنه من قوة وبطش ..

- يا عدو الله . أتضربني على إيماني بالله الأحدي ؟
إلا ما كنتَ فاعلا .. فافعل .. فإني أشهد أن لا إله إلا الله
وأن محمدا رسول الله ..

وتزداد ثورة (عمر) ويمد يده يريد أن يفتزع الصحيفة من
أخته .. لكنها تتمسكُ بها رافضة .. وتدعوه للاغتسل
والتطهر قبل أن يلمسها ..

ويمثل (عمر) ويذهب ليغتسل ، ثم يعود ليقرأ ما في
الصحيفة ...

بسم الله الرحمن الرحيم (طه) * مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ
لِنَشْفِيَ * إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَن يَخْشَى * نُنزِلُهَا مَّسْنُونًا خَلَقَ الْأَرْضَ
وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا * الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثُّرَى * وَإِنْ
تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (طه : 1- 8)

ويحتمق صوت (عمر) بالدموع وهو يقول :- "لا ينبغي
لمن هذه آياته ، أن يكون له شريك يُعبد معه .. دلوني على
محمد".

وفى (دار الأرقم) وأمام صحابة رسول الله وكانوا وقتها تسعة وخمسين رجلاً ... نطق عمر بن الخطاب بالشهادة ...

وسط الفرحة الغامرة التي عمت المسلمين ومعهم نبيهم - توجه (عمر) بالسؤال إلى الرسول عليه السلام ..
- "ألست على الحق في عماتنا ومحيانا؟؟"

ويجيبه الرسول: "بلى يا عمر ، والذي نفسى بيده إنكم لعلى الحق إن متم وإن حييتم" ..

قال (عمر) فى حماس: "ففيهم الاختفاء إذن .. ؟ والذي بعثك بالحق لتخرجن ولنخرجن معك" ..

هكذا كان دخول (ابن الخطاب) فى الإسلام بداية مرحلة جديدة وخطيرة فى تاريخ الدعوة ..

لم يعد المسلمون يستخفون ومعهم نبيهم فى شعاب مكة ليصلوا .. بل بدأوا - وأولهم عمر بن الخطاب - يجهرون بإسلامهم .. حتى أنهم أصبحوا يصلون فى الكعبة على مرأى من أقطاب الكفر والشرك الذين أصبحوا يهابون المسلمين و (عمر) معهم .. إلى جانب النبی عليه السلام ..

وقف (عمر ابن الخطاب) وزيراً .. ومستشاراً .. ومعاوناً ..
ومدافعاً عن الإسلام بالقول .. والقتال .. قربته النبي منه لما
رأى فيه التقوى ، وحسن الإيمان ، والذكاء وقوة الحجة
والتواضع ، والشجاعة في إبداء الرأي .. هذه الشجاعة
التي جعلته يناقش النبي في آرائه وي طرح عليه البدائل ..
هو شيء لم يكن يجروء عليه باقى الصحابة .. وكان هذا
يسعد النبي ويسره .. حتى أنه أخذ برأى عمر مرات كثيرة
لما لمس فى رأيه حجة قوية ومنطقاً وعقلانية ..

ولما رحل النبي وجلس (أبو بكر) على مقعد الخلافة
اقتدى بمعلمه النبي رسول الإسلام ، واتخذ من (عمر بن
الخطاب) وزيراً أول له يستشير به ويستفتيه ..

ولم لا ؟ .. وقد كانت الخلافة قريبة منه يوم وفاة الرسول
عندما بسط (أبو بكر) إليه يده مبايعاً فى السقيفة .. يومها
صاح (عمر) : بل إياك نبايع يا أبا بكر .. فأنت أفضل منى .
فقال أبو بكر "أنت أقوى منى يا عمر" ..

فرد (عمر) بتواضع الأتقياء : إن قوتى لك مع فضلك يا
أبا بكر ... وقد كان ..

وها هي ذي دورة الزمن تدور .. وها هو ذا (أبو بكر) يشعر بدنو أجله ... وها هي ذي أمة الإسلام أول شواغله فكان (عمر) هو أول الأسماء المطروحة لتحمل المسؤولية ويتقبل (عمر) الأمر كارها .. فهو عازف عن الخلافة كاره للإمارة .. لكنه لا يملك أن يعتذر عن هذا التكليف ..

ويوم تولى هذه المسؤولية وقف خطيبا ...

"أيها الناس .. إنني قد وليت عليكم ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم .. وأقواكم عليكم .. وأشدكم اضطلاعا بأموركم ما توليت ذلك منكم . ولكفى عمر انتظار الحساب" ...

هكذا لم تكن إمارة المسلمين عند عمر منصبا ولا جاها ولا ثراء ولا سلطانا .. وكل ما كان يخشاه عمر هو (الحساب) .. فماذا لو ظلم أحد .. ماذا لو جاع أحد من رعايله .. ماذا لو .. قال يوما لعبد الرحمن بن عوف :

- "يا عبد الرحمن .. لقد لنت للناس حتى خشيت الله في اللين ، ثم اشتدت حتى خشيت الله في الشدة ، وأيم الله لأنا أشد منهم فرقا" وخوفا فأين المخرج" ..

مفراغ من عوف

وظل يبكى ويشتحب حتى قال له (عبد الرحمن بن عوف): "أف لهم من بعدك" ...

وكان (ابن عوف) يقصد أن الحكام الذين سيأتون بعد ابن الخطاب سيتعبون كثيرا ، فمن في مثل عدله وتقواه ، وصلاحه ، ونزاهته ، وصدقه ، وبره ، وإنسانيته ..
كان الحكم عند (عمر بن الخطاب) مسئولية .. والمسئولية تعنى عنده القدوة ..

تلقى يوما هدية من (عتبة بن فرقد) واليه على أذربيجان فسأل حاملها : ما هذا .. ؟ ..

- قال الرجل : "هى حلوى يصنعها أهل أذربيجان" .

فتذوقها عمر فوجد لها طعما شهيا .. ثم سأل الرجل :

- أكل المسلمين هناك يطعمون هذا ... ؟

فأجاب الرجل : لا .. إنما هو طعام الخاصة ..

فأعاد (عمر) لف الهدية وردها للرجل وقال :

- أين بعيرك؟؟ .. خذ هذا وارجع به (لعتبة) وأخبره أن

(عمر) يقول له : اتق الله وأشبع المسلمين مما تشبع منه ...

هذا هو (عمر) الذي رفع شعارًا يقول :

"بش الوالى إن أنا طعمت طيبها ، وتركنت للناس عظامها" .

هكذا حرّم (عمر) على نفسه أكلَ طعامٍ لا يأكله كلُّ المسلمين .. وهكذا فعل مع أهله وأسرته .. فلم يكن يمنحهم امتيازًا .. ولا يخصصهم بخير .. وكانوا يعيشون فى مستوى أدنى من باقى المسلمين .. مخافة أن يقول الناس :
خص (عمر) أهله بشيء دون غيرهم ...

خرج (عمر) يوما إلى السوق يستطلع أحوال الناس فرأى بعض الإبل السمانِ المعروضة للبيع فسأل عن صاحبها ، وعرف أنها لابنه (عبد الله بن عمر) .. فأرسل إليه ليسأله .. فأجابه (عبد الله) بأن هذه الإبل كانت يومَ اشتراها إبلا ضعيفةً نحيلةً ، فتعهدها بالرعاية والطعام حتى سمئت فعرضها للبيع ..

وخشى (عمر) أن تكون هذه الإبلُ مقدّمةً فى الرعى والسقى لأنها إبلُ ابنِ أمير المؤمنين .. فأمر ابنه فباعها وأخذ رأسماله ، ثم رد الربح لبئيت مال المسلمين ..

اتسعت دولة الإسلام في عهد (عمر) - والذي استمر ما يزيد على عشرة أعوام - فوصلت راية الإسلام إلى أفغانستان شرقاً .. وضمت وسط آسيا والعراق والشام ومصر .. وكان ضرورياً أن يكلف ولاية يعاونونه ويمثلونه في هذه البلاد، فيجبون الضرائب ويحكمون بين الناس، ويعلمونهم أمور دينهم .. وكان يعتبر نفسه مسئولاً عن أي خطأ يرتكبه أي من هؤلاء الولاة .. علم بها (عمر) أو لم يعلم، لهذا كان شديد الحذر في اختيارهم، يحاول أن يجد من يكون على مستواه في التقوى والحزم والرفقة والخوف على الناس .. قال يوماً لأصحابه: "أرايتم إذا استعملت عليكم خيراً من أعلم، ثم أمرته بالعدل .. أيسرى ذلك ذمتي ؟ ...

قالوا : نعم ..

قال لهم عمر : كلا .. حتى أنظر في عمله .. أعمل بما أمرته أم لا .. أيما عامل لي ظلم أحداً ، وبلغتني مظلّمته فلم أغيرها فأنا ظلمته ..

لله درك يا (عمر) ... يا فاروق الإسلام .. أيها الحاكم

الذى لم ولن يجود الزمان بمثلك .. عللا حكيما يختار من
أصحابه من يثق فى قوته وصلاحه وعدله وحكمته ورحمته
ليؤليه على الناس .. وكان ينهاهم عن أربع حتى يستقيم
لهم أمرهم ...

لا تركب دابةً مطهمةً .. لا تلبس ثوبا رقيقا .. لا تأكل
طعاما رافها .. لا تغلق بابك دون حوائج الناس ..

إذن هو يريد لهم متواضعين متقشفين فتوعين يعيشون من
أجل الناس وللخدمة الناس ... فهو يريد هذا الوالى كما قال
يوما : "رجلا إذا كان فى القوم وليس أميرا لهم بدا وكأنه
أميرهم، وإذا كان فيهم وهو أميرهم بدا وكأنه واحد
منهم" ...

ولعل قصة (عمر بن الخطاب) مع المصرى الذى جاء
يشكو ابن الوالى (عمر بن العاص) لخير دليل على قوة
هذا الرجل.

فقد جاء مصرى إلى أمير المؤمنين عمر يشكو له (محمد
بن عمرو بن العاص) فقد فاز المصرى على ابن الوالى فى
سباق بينهما فما كان من (محمد) بن (عمرو بن العاص)

إلا أن ضرب المصري بالسوط ، وهو يقول له : خذها وأنا
ابن الأكرمين ..

فأرسل (عمر) يستدعى (عمر بن العاص) وولته
ويعطى المصري سوطه .. ويقول له : اضرب ابن الأكرمين ..
ويأخذ المصري السوط من يد (عمر) وينهال على
(محمد) ضرباً و (عمر) يقول له : اضرب ابن الأكرمين ..
ولما انتهى المصري .. قال له عمر :

اجعلها على صلعة عمرو ، فوالله ما ضربك إلا بسلطانه
واعتذر المصري .. لأنه ضرب من ضربه ... وهذا يكفيه .

فالتفت (عمر) إلى ابن العاص وقال : يا عمرو متى
استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً .. أليس هذا
هو أول حق للإنسان في الحياة ... أن يكون الإنسان حراً ..
اتسعت الإمبراطورية الإسلامية على يد ابن الخطاب
فكان لا بد أن يؤسس (ديوانا) لضبط المال .. وكان أول من
أحصى عدد المسلمين كى يفرض لكل منهم عطاء يناسبه ..
وكان لا بد أن يعين القضاة لفض المنازعات بين الناس .

وشعر (عمر) أن التاريخ لابد وأن يسجل فتوحات

المسلمين وانتصاراتهم .. ورأى أن يكون هناك تأريخ
إسلامي يبدأ مع بداية العام الذي هاجر فيه النبي عليه
السلام من مكة إلى المدينة .. وهو التاريخ الذي نعرفه
(بالمجري) ..

وهكذا أرسى (عمر) دعائم دولة قوية ووضع لها ركائز
نموها وازدهارها ..

خرج (عمر) لحج بيت الله الحرام في العام الثالث
والعشرين للهجرة .. وكان قد مضى عليه عشرة أعوام وهو
أمير للمؤمنين .. لم يكن قد طعن في السن .. فعمره لم
يكن قد تجاوز الأربع والستين .. لكن عبء المسؤولية كان
قد أثقل كاهله ...

كان صباح يوم الأربعاء السادس والعشرين من ذي
الحجة ، وقد وقف عمر في الخراب يصلي وإذا بشخص
يتجه إليه وقد أخفى في طيات ثوبه شيئا . وما إن اقترب
من (عمر) حتى أخرج خنجرًا ذا طرفين وطعنه به ثلاث
طعنات ولاذ بالفرار .. وتصايح المسلمون وطاردوه فطعن
ثلاثة عشر رجلا مات منهم ستة .. فألقى عليه (عبد الله بن

عوف) ثوبا فوقع على الأرض ثم طعن نفسه طعنة قاتلة ..
لقد أدرك أنه مقتول مقتول ..

حُمِلَ ابنُ الخطابِ إلى بيته مضرجا بدمه .. وسئل عن
قاتله فقالوا له : هو أبو لؤلؤة وهو (فتى مجوسى الأصل) ..
غلام المغيرة بن شعبه .

فقال : الحمد لله الذى لم يجعل منيتى إلا على يد رجل
يدعى الإيمان ولم يسجد لله سجدة ..

هكذا كانت نهاية هذا الرجل العظيم الذى لم ولن يجود
الزمانُ بمثله أبدا .. بعد أن أوصى بأن يكون الأمر شورى
بين صحابة رسول الله .

ورفض أن يختار خليفة له .. فالأمر شورى بينهم ..